

# المنظمات والاتحادات الإعلامية الإسلامية والتحديات

إعداد:

د. عبد الرحمن الشبيلي  
عضو مجلس الشورى السعودي

صفحة أبيض

## بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت تظهر في أنحاء العالم الإسلامي منذ السبعينيات الهجرية (الخمسينيات الميلادية من القرن الفائت) تكتلات إعلامية، ذات طابع تنسيقي بين الهيئات والمؤسسات المهنية، والحكومية أو العلمية أو الخاصة.

وقد تخصص بعضها في الإعلام بشكل عام، بينما أقتصرت البعض على فرع واحد أو اثنين من فروعها، كالإذاعة والتلفزيون ووكالات الأنباء أو الصحافة أو الإعلان، وربما أتخذ بعضها من الثقافة مظلة عامة يندرج تحتها الإعلام بوصفه واحد وجود الثقافة، كما هو الحال مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، وفي كثير من الحالات تطلق الإذاعات فيقصد به شقاها المسموع والمرئي، كما هو الشأن مع إتحاد الإذاعات العربية.

وقد تكون تلك التكتلات في شكل منظمات أو اتحادات أو جمعيات تنتظم الهيئات المتماثلة الموجودة في إقليم واحد، أو داخل قارة بعينها أو بين عدة قارات.

ويكاد المرء - من الناحية التاريخية - يلحظ أن معظم تلك الحالات قد بلغت الذروة في إعلان تكتلها في التسعينيات الهجرية - السبعينيات الميلادية من القرن الفائت - وذلك في ظل الوفرة المالية التي شهدتها دولة معينة في العالم الإسلامي، وما رافق تلك الفترة من علامات الصحوة الإسلامية الحديثة، والاستقلال السياسي لبعض الدول، والشعور القوي نحو التضامن والتعاون بين الشعوب الإسلامية، وتنامي الحماسة نحو تعزيزها.

وتهدف هذه الورقة إلى تحري معرفة مدى نجاح هذه التجمعات على مختلف أنواعها وتخصصاتها، ومدى تأثيرها وفعاليتها، وما إذا كانت قد حافظت على الأهداف التي أنشئت من أجلها أم تحولت عنها، كما يهدف إلى

تشخيص التحديات التي تواجهها في ظل أوضاع العالم الإسلامي اليوم، حيث تتعاظم تلك التحديات عاماً بعد عام.

على أنه لا بد من الاعتراف بأن الوصول إلى الإجابة عن كل تلك التساؤلات لن يتأتى دون الوقوف عن أوضاع تلك التكتلات، والإطلاع ميدانياً على سير العمل فيها، أو على دراسات تقويمية تعلل أوضاعها، وبالتالي فإن هذه الورقة تبقى تأملات شخصية تعتمد على الانطباعات أو القراءات التي أمكن الإطلاع عليها.

لقد تكونت تلك التنظيمات - على اختلاف أشكالها وأعراضها - عبر السنوات نتيجة - الشعور بالحاجة إلى التعاون بينها في مجالاتها، ولذلك فإن هدف التكامل والتنسيق يتصدر قائمة أهدافها، إذ إن السمة الغالبة في كل هذه التكتلات هو احتفاظ كل دولة بسيادتها على وسائل الإعلام الوطنية لديها، ولم تعرف حالات وصلت بها درجات التكامل إلى مرحلة الاندماج وذوبان المؤسسة الوطنية، حتى ولو كانت الوحدة في مقدمة ما تسعى إليه.

لكن تلك الإتحادات أسهمت بشكل جيد في تحقيق التعارف بين القيادات الإعلامية، وإيجاد الملتقيات بين المسؤولين فيها، ومن هنا، أمكن تقريب المؤسسات فيما بينها وتحقيق شكل من أشكال التماثل في التنظيم والتركيبات الإدارية والقانونية مع استخدام مصطلحات متشابهة في أعمالها.

ولقد كانت جهود التعاون الإعلامي بين منظومة من الدول في قوتها وضعفها - على الدوام- انعكاساً طبيعياً للمناخات السياسية القائمة، تفتت مع فتورها وتزداد اندفاعاً وتقارباً مع حرارتها، وكثيراً ما يدفع التعاون الإعلامي بين مجموعة من الدول ثمن الاختلافات السياسية التي تحدث بينها، ثمناً يصل أحياناً حتى القطيعة وتجميد التعاون وتعثره في كثير من الأحيان، فتوقف بعض تلك التكتلات الإعلامية - وبخاصة في العالم العربي، عن مواصلة تحقيق أهدافها أو التوسع فيها، وربما اقتصر عملها في جوانب

شكلية لا تتأثر بالمداخلات والعوامل السياسية المؤثرة.

كان من المجالات التقليدية التي ركزت عليها تلك التجمعات على سبيل المثال، هو الشراء الجماعي لحقوق بث المناسبات الرياضية والثقافية العالمية، وتقاسم الحصص بينها سعياً لخفض تكاليفها العالية، ثم جاءت التطورات المتعاقبة في تقنية المعلومات والاتصالات لتسهم في إحالات بعض نشاطات هذه التكتلات إلى التقاعد، وهي نشاطات ربما كانت في الأصل أساساً رئيسياً في قيام تلك التكتلات إلى التقاعد، وهي نشاطات ربما كانت محطات التلفزة مثلاً بحاجة إليها قبل ثلاثة عقود من عمليات تبادل الأخبار والبرامج وجمعها في مركز واحد وتوزيعها، قد تجاوزه الزمن بعد أن أصبحت تلك الأمور ميسورة وسريعة بفضل ثروة التقنية وتناقص أثمانها.

من هنا، يمكن القول بشكل عام، إن معظم التجمعات الإعلامية، التي تكونت في عالمنا الإسلامي، لم تستطع أن تحافظ على الأهداف التي أنشئت من أجلها، وذلك إما لكون تلك الأهداف نظرية خيالية، أو لأن الذين خططوا لها في الأساس قد انقطعوا عنها ولم يواكبوا مسيرتها ويتابعوا تنفيذ ما خططوه، ثم تولى أمرها آخرون لم يستوعبوا مقاصد المؤسسين أو لم يؤمنوا بها، أو لم يستطيعوا تنفيذها، أو لأن ظروفها قد جدت وغيّرت في مجرى مسيرتها.

ولعل من أهم ما يلحظ على معظم تلك التجمعات أن من النادر أن تسعى إلى تقويم مسيرتها، أو أن تجري تشخيصاً للمعوقات التي تقف في طريقها والأسباب التي تجعلها تحيد عن أهدافها الأساسية، وبالتالي فإنها قد تستثمر عقوداً وهي تعمل تحت خط التوقعات المرجوة منها، عاجزة عن أداء أهدافها المرسومة لها في أنظمتها الأساسية وفي دراسات الجدوى التي أعدت لها قبل قيامها، لكن الناجح منها قد يبادر إلى إبتكار مجالات جديدة للتعاون تتناسب والمستجدات في الساحة الإعلامية والاتصالية.

لقد غربت الرتابة على معظم التجمعات الإعلامية والثقافية في العالم

الإسلامي، ورضيت بالفتات من الموازنات التي تخصص لها، واقتصرت نشاطاتها على القشور من أعمال التنسيق، وربما أصبحت في بعض الأحيان مستودعاً للكفاءات التي تستفيد طاقتها، وقد بلغ الأمر بكثير من الدول الإحجام عن تسديد مشاركتها المالية، إما لعد قناعة بجدواها، أو لانحرافها عن أهدافها الأساسية، وهي حال وصل إليها معظم الهيئات الدولية والإقليمية على اختلاف تخصصاتها.

إن نعمة المخطط التي قد توحى بها هذه الورقة، لا تدعو إلى خفض درجة التعاون والتكامل بين مؤسساتنا الإعلامية، لكنها تنادي بتقويم التجربة، متى ما بلغت سنوات من العمر، أو وصلت إلى درجة من الانكماش، كما تحث على مواصلة التجديد والابتكار، وأن تكون التجمعات الإعلامية عملاً مساعداً للإبداع والعمل الجماعي الخلاق.

والمأمول من هذه الندوة، التي تتعقد في ظل رابطة العالم الإسلامي، الهيئة الشعبية العالمية التي تنضوي تحتها هيئة وليدة للإعلام الإسلامي، إلى تلافي ما وقعت فيه سابقاتها من التكتلات الإعلامية الرسمية، وإلى السعي لتصحيح ظاهرة ما اعترى بعضها من سلبيات أو انحرافات عن أهدافها التي أنشئت من أجلها، وأشعر أن هذه الغاية تستحق عقد منتدى يستهدف تقويم تجاربها وتبادل الرأي حول معالجة أوضاعها.

إن ما يواجهه العالم الإسلامي اليوم، من حملات مغلظة أو معلنه، يستدعى من إعلام الأمة أن يرتقي في أدائه وأن يبذل في طرحه، وأن يوظف في أسباب التعاون والتنسيق بين مؤسساته، فهو، أي الإعلام، وهو جزء من عقيدة هذه الأمة، يشترك في مسؤوليته الكبيرة، عنها، وعليه أن يبادر إلى تصحيح المتعثر من أوضاعه وتعديل مساراتها، قبل أن يطاله ما طال منهاج التعليم من استهداف وسهام.

يتلفت المرء اليوم، يمناً ويسره في أنحاء العلم الإسلامي، فلا يكاد يقع نظره على منظمة إعلامية مشتركة واحدة، تقوم بدور فاعل في الدفاع عن

قضايا الأمة، وتواجه بشكل محترف ما تواجه العقيدة من تطاولات، بل إن كثيراً من المؤسسات الإعلامية المشتركة التي أنشئت في العقود الماضية قد تداعت وتلاشت نتيجة فشلها في تحقيق أهدافها أو تمويل مشروعاتها.

ويمكن القول، بشكل عام، إن ضعف الأداء والعرض الإعلامي هو القاسم المشترك الغالب في معظم مؤسسات الأعلام الإسلامي، المقروءة والمسموعة والمرئية، وهو أمر يلقي بظلاله على فاعلية الإتحادات والتكتلات الإعلامية التي تنظمها، وهنا يتساءل المرء عما إذا كان يمكن لها أن تكون منارات إشعاع للتطوير، وتعميم التجارب الناجحة والمميزة، وقيادة عمليات التحديث والتجديد؟

ويظل التفوق الإعلامي مقصوراً حتى اليوم على حفنة معدودة من الدور الإعلامية القادرة مالياً والتي توجه برامجها على مجالات لا تخدم قضايا الأمة ولا تتسجم مع قيمها، ويظل الإبداع في المجالات الإسلامية قاصراً عن الوصول إلى أهدافه الجغرافية وبلوغ مراميهِ الموضوعية.

صفحة أبيض